مجموعة قصصية

سائق الشاحنة

عبدالعزيز بن مبروك الصحفي

اسم الكتاب : سائق الشاحنة
اسم الكاتب : عبدالعزيز بن مبروك الصحفي
رقم الإيداع : ٢٥١٤٣ / ٢٠١٧
الترقيم الدولي : ٩٧٨٩٧٧٨٣٥٠١٩٧
الطبعة الأولى : ٢٠١٧
إخراج داخلي : هيام فهيم
تصميم غلاف : عبد العزيز الصحفي ، عبد اللّه الصحفي
صادر عن : مؤسسة زَحمَة كُتَّاب للثقافة والنشر
١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة


www.za7ma-kotab.com


دار زحمة كتاب للنشر


za7ma-kotab@hotmail.com





إلى زوجتي الغالية، حياة بنت عبد اللّه عتيق الصحفي، التي شاركتني هذه الحياة المديدة والتي بحمد اللّه قامت بكل ما هو مطلوب من الزوجة المعينة الصالحة وبذلت كل ما ملكت من جهد وصبر، لم تتخاذل أو تخبُ مع مرور الوقت وتقلبات الحياة، فشاركتني حلوها ومرها، وإلى أبنائي وبناتي الغالين الذين كان لهم الأثر الكبير في تطوير نفسي، والذين كنت أناقشهم في معظم ما أتعلمه وأكتبه وأتلقى منهم دعمهم أو انتقاداتهم مما يدفعني لتصحيح بعض ما أكتب.

إلى إخواني وأخواتي الغالين - حفظهم اللّه ورعاهم - إلى كل من ذكرت وإلى كل من كان له يد في تعليمي وتنويري وإثراء معارفي قريبًا كان أو صديقًا، وأخص بالذكر خالي عبد المجيد صلاح، وجدتي لأمي مريم مبروك - كما كانت تحب أن تسمي نفسها - مع العلم أن اسمها الحقيقي (مخضورة رجاح)، وعم أمي جميل صالح - رحمهم اللّه - وإلى أخي الأكبر سعد الذي تعلمت منه فن الحوار ومهارة الإقناع والإخلاص في العمل، وإلى كل شخص كان له الفضل في أي شيء تعلمته صديقًا كان أو شخصًا عابرًا تعلمت منه ولو كلمة واحدة.

أهدي هذا الجهد المتواضع داعيًا لهم جميعًا بالبركة والخير والجزاء الجزيل من رب العالمين.

✍ .. عبدالعزيز بن مبروك الصحفي

الرغم من ذلك نجد أن هناك صراعًا مستمرًّا بين الإنسان والحياة، يسعى الإنسان فيها جادًّا، راسمًا لنفسه أهدافًا وطموحات كثيرة، بعضها بإصرار وعزيمة قوية، وبعضها بتراخٍ وتهاون، كل واحد على قدر عزمه وأمله في اللّه سبحانه وتعالى، يحقق بعض الناس بعضًا من طموحاتهم ويصبون لتحقيق المزيد، كلٌّ يلهث من أجل الاستمرارية، أحدٌ توقف به طموحه عند حد معين أو لم يستطع أن يحقق أكثر مما وصل إليه، فظل جاهدًا داعمًا لموقفه حتى لا ينهار، والبعض يصارع بشتى الوسائل للوصول إلى أهداف كثيرة، تراه يجادل، ينافق، يدس ويفعل كل ما في وسعه ولو على حساب الآخرين، ليس إلا لتحقيق أهداف دنيوية – والبعض لم يألُ جهدًا في بذل العمر والشباب وهدر الطاقة والحيوية، وأحيانًا بذل ماء وجهه سعيًا لتحقيق آماله، تراه لا وقت عنده للراحة، يخشى أن يسبقه الآخرون إن توقف ليرتاح قليلاً أو لإعادة النظر فيما حقق، فلو صبر وتأنى قليلاً وسلك طرقًا أكثر إنسانية وسموًّا مما هو سالك في حالته تلك لحقق بها ما يريد أو ربما أكثر مما يريد، تنظر حولك إلى فئات من الناس وتتعجب، هل هو حب البقاء ذلك الذي يدفعهم إلى فعل كل هذا وهم يعلمون بأن لكل شيء نهاية، أم هو حب السيطرة والتملك وهم يعلمون بأن كل شيء إلى زوال! قليل من القناعة وشيء من التقوى ليجد الإنسان نفسه في راحة حلوة المذاق رحبة الأرجاء، كل ما تسعى إليه سوف يتحقق إذا أعددت له عدته وسلكت له طرقه وكان

في الرسم الهندسي عندما التحق بالمعهد الصناعي الذي تخرج فيه نجارًا، لقد حاول أن يجعل الأخشاب التي حصل عليها وبها بعض الالتواء، حاول أن يجعلها مستقيمة، قالوا له بللها بالماء الساخن ثم ضعها ما بين عمودين حديديين واربطها معًا واتركها لعدة أيام وسوف تستقيم الأخشاب، ولكن ذلك يحتاج إلى مساحة كبيرة وبعض المعدات المساندة، وربما تستقيم، وربما لا تستقيم، إذن الأمر يحتاج إلى محاولة، وصبر، ورغبة صادقة، وهو يكفيه ما بذل من جهد في الحياة الحقيقة نفسها، وما جاء هنا إلا للراحة والتفكر، نعم إنه هنا للراحة من عناء الخط المستقيم وإشكالياته التي لا تنتهي في حياته، هو هنا للاستجمام، والتأمل، والتدبر، إنه هنا ليستنشق الهواء العليل في نسمات الليل، إنه هنا ليراقب السحب وهي تغطي أجزاء من نور البدر في ليلة تمامه، إنه هنا ليشاهد النجوم في ظلمة الليل، ويسمع شقشقة العصافير مع بدء طلوع الفجر، ويمتع ناظريه باصفرار نور الشمس الرائع عند الشروق، وباحمرارها الجميل عند الغروب، أشياء جميلة جاء يبحث عنها هنا، يريد أن ينسى شيئًا اسمه الخط المستقيم، ليس لعدم قناعته به وإنما ليريح نفسه ويدخل في أعماقها عله يجد تفسيرًا لهذا الخط الجميل في اسمه العميق في معناه. انتصب واقفًا بعد أن كان جالسًا، مشى خطوات في كلا الاتجاهين ثم توقف، اكتشف أنه هو أيضًا قطع تلك الخطوات بأن مشى في خط مستقيم، يا الله، حتى في المشي لا بد

الدائري، وغيرها من أشكال الخطوط الأخرى غير الخط المستقيم، يقبلها الآخرون على أنها أقصر خط بين نقطتين، ويرون أن الخط المستقيم طويل جدًّا، مع اعترافهم بأنه سوف يوصل في النهاية إلى الهدف، ولكن ليست لديهم القناعة بأنه يستحق كل العناء الذي يلاقونه فيه. في كثير من المحاولات التي قام بها، كان الخط المستقيم هو الذي يحول بينه وبين بعض ما يريد، لم ييأس، ولن ييأس أبدًا، فإن الصحيح هو الصحيح حتى وإن تأخر الحصول عليه. نظر إلى كومة الأخشاب التي أمامه، ثم قرر أن يقصها إلى قطع أقصر طولاً ليستفيد منها في مكان آخر، أو أن يُغير الطريقة التي سوف يستفيد بها منها، فمن الممكن تغيير طرق الاستفادة من بعض الأمور، ولكن من الصعب تغيير حقائق الأمور نفسها.

يتغطى ويجلس. وفعلاً وبسرعة وبحركة لا إرادية تكمكم تحت الشرشف وجلس، والمطر لا يزال ينزل غزيرًا، استسلم للأمر الواقع، وسبح في الخيال يتذكر الأيام الخوالي وأيام العز، السيارة الفارهة، والأغاني الغربية والعربية، وأنشودة المطر، تذكر هذا المقطع:

مطر، مطر مطر أنشودة المطر.

ضحك في داخله ضحكة مكبوتة، ثم خرجت على السطح بعد أن تعمق في تذكر الأيام الخوالي، ضحك ضحكة من لم يعد لديه مساحة من التفكير العقلاني بما هو فيه، لا يعرف من هو قائل الكلمات، إنما يعرف المؤدي، وهذا مبلغ علمه. كان وقتها لم يتجاوز الثامنة عشرة، مرفهًا غنيًّا، وُلد وكما يقال وفي فمه ملعقة من ذهب، بل كان يشعر بأنه هو نفسه وُلد وفي فمه ملعقتان من ذهب، أب غني وأم غنية، ولكن قالها بحسرة: آآآآه ماذا أفاد الغنى؟! كان مدللاً إلى حد الفساد، توفي الوالدان في ظروف تراجيدية لا يحب أن يتذكرها، وإنما آآآه أخرى طويلة من إنما هذه. ما يتذكره جيدًا أنه بعد مراسيم العزاء وجد نفسه محاطًا بعدد كبير من الأصدقاء أو لنقل الرفقاء. لِمَ لا؟ إنه وحيد أبويه، لا عم، ولا خال، يعني "مقطوع من شجرة"، وأي شجرة! هل يقول شجرة جميز بلا عروق؟ ربما أكبر من شجرة الجميز، ولكن عروقها على السطح سرعان ما انقلعت، أصبح ما بين ليلة وضحاها "المليونير الصغير" لماذا الدراسة ولماذا العلم إذن؟ يتعلم الناس

فيها من حوله عند طلوع النهار، صحا على صوت تكسير في الباب والنوافذ، وتفاجأ بدخول أناس عليهم لباس غريب، ورائحة دخان كثيف أظلمت له الشقة، نقلوه إلى الخارج، بُدئ الكلام معه بـ"سلامات" وبعدها بدأت الأسئلة.

انتهت الحالة بتحول معظم ما في الشقة إلى رماد، فقد معها جُل ما كان يملك من حطام الدنيا على الرغم من قلته، إنما كان حينها يعني له الشيء الكثير، حتى الشهادات التي كان يحتفظ بها على أمل أن يحصل بها على وظيفة فقدها، شهادات قال، أولى متوسطة، وشهادة حسن سيرة وسلوك يحصل عليها أسوأ طالب وأحسن طالب في المدرسة! امتد التحقيق في الموقع، ثم انتقل إلى قسم الشرطة، لم يثبت عليه شيء سوى حيازة قليل من المشروب جلبه له أحد الرفقاء لأن لديه المأوى. انتهى به الحال في السجن، قضى عدة أشهر ثم خرج هائمًا، قضى الأشهر الأولى لم يترك أحدًا من الرفقاء إلا مر عليه، وأخيرًا أُوصدت في وجهه الأبواب، وفي مغرب يوم صائف كان يكتنفه فيه البؤس واليأس، وجد مجموعة من الجنسيات المختلفة يدخلون من خلال فتحة في جدار حوش كبير، تبعهم، عرف أنها مستعمرة كبيرة لهم، وفي الداخل تتحول إلى مستعمرات صغيرة حسب الجنسيات أو بلد المنشأ، بنى فيها مستعمرته الخاصة، من مجموعة من الكراتين وأخشاب الطبليات التي التقطها من مخلفات العمائر.

المساجد من الداخل. "يلا خليني أجرب إيش ينقص مني؟". قالها بصوت مسموع، ودخل بعد أن توضأ وهو يراقب أحد الأشخاص يتوضأ، فقد نسي الوضوء أيضًا. جلس يراقب الناس، أُقيمت الصلاة فصلى مع الناس، وبعد الصلاة، جلس قليلاً لا يدري ما يقول! فقط سكون ونظرات يختلسها إلى الناس من حوله، يُمني نفسه بأن يرى شخصًا يعرفه. مرت الدقائق سريعة، قام من مكانه، ثم انزوى في ركن من المسجد يتأمل الخارجين، وقد بدأت تباشير الصباح تطلع وأصوات الطيور على شجرة قريبة تملأ أذنيه، وأخيرًا شعر بالتعب فتمدد، لا يدري كم من الوقت مضى. صحا على حركة غير عادية، أناس يدخلون ثم يخرج بعضهم ثم يدخلون مرة أخرى وهم يحملون نعشًا، قام فِزعًا، لم يكن يتخيل أن يرى منظرًا مثل هذا في حياته أبدًا مرة أخرى! رأى الناس يدخلون والماء يقطر منهم، قام فتوضأ وقد تعلم الوضوء حديثًا مرة أخرى ورجع إلى مكانه، رآهم اصطفوا للصلاة فصلى معهم، أي طبق ما يفعلون، ثم خرج يتبعهم، تمت مراسيم الدفن وهو يراقب بكل أحاسيسه "إذن". لم يعد لـ"إذن" تلك النغمة الموسيقية التي كانت تخرج بها من قبل. "إذن" هذه هي النهاية، قليل من القماش، وحفرة يهال فوقها التراب، ثم يذهب الأهل والأصدقاء وكل من جاء. ابتعد مسرعًا ثم خرج وانزوى في ركن غير بعيد وبكي، بكى كما لم يبكِ في حياته قط، مر شريط حياته أمامه سريعًا، رآه من خلال الدموع الغزيرة التي نزلت وصارت مطرًا آخر من نوع آخر بعد

الحمقاء على كل من يتخطاه وتلويحات يده لا تكف عن التوعد.
عمود أسود يقف بلمباته الثلاث على جانب الطريق، نظر إلى نورها الأصفر بعد أن كان مخضرًا قبل لحظات، لم يعره أدنى اهتمام، ضغط على دواسة البنزين، زأر محرك السيارة، زادت سرعتها، انطلقت أصوات المنبهات من كل ناحية، وارتفع صوت احتكاك عجلات السيارات القادمة من اليمين بالطريق، دخان يتصاعد، دوي صوت مرعب، زجاج يتحطم. انتهى كل شيء بالنسبة له في عالم الوعي، لم يعرف ما حدث بعد ذلك. نظر حوله، غرفة صغيرة، إضاءة قوية مركزة، رائحة نفاذة تصل إليه، ركز قليلاً، عرف أنها رائحة مخدر، وجوه غير واضحة المعالم يحول بينه وبينها ضباب خفيف لا يراه سواه، حاول أن يستوضح الأمور، لا يرى إلا العيون، هدوء يتخلله كلمات قصيرة خافتة، مشرط، ملقط، شاش، مقص، راح في غيبوبته، غرفة كبيرة، إضاءة هادئة، أنين من جميع الجهات، حركات سريعة بخطوات رشيقة تتحرك من وإلى الغرفة، حاول أن يجلس، ألم في ظهره يمنعه من الجلوس، رجلاه مشدودتان حاول أن يحركهما، ثقيلتان، فتح عينيه جيدًا، لا يدري كم مضى عليه هنا، أتاه صوت رقيق: "سلامات، ربنا كتب لك عمر جديد". حاول أن يتذكر، مرت الأحداث سريعًا أمام عينيه، لمَ العجلة؟ ماذا وراءه؟ أيام من عمره قضاها هنا لا يعرف كم عددها ولا يعلم أين هو، وماذا تم فيها! عاتب نفسه كثيرًا وأقسم أن لا يقطع إشارة مرور ....

منه أكثر من سلك أو أنبوب، كل هذه الأجهزة لتبقيه على قيد الحياة بإرادة الله! وعلى الرغم من كثرتها إلا أن الأطباء ليسوا متأكدين بأنها ستفي بالغرض وتقوم مقام الأجهزة الربانية التي خلقها الله، يتأمل هذا الكم الهائل من الأجهزة؛ فتزيد من إيمانه بالله سبحانه وتعالى أكثر وأكثر، يتخيل لو أن كل شخص يعيش على هذه الأرض أوصلت به كل هذه الأجهزة كيف سيكون حال الناس؟! إن الله سبحانه وتعالى جعل الإنسان أعظم وأقوى مخلوق على وجه الأرض، ومع هذا (إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ)، وفي بعض الأحيان يكون الطغيان أكثر من أن يتحمله البشر أو الأرض التي يمشي عليها! كل هذه الأجهزة فقط لتقوم مقام عدد قليل جدًّا مما يحويه الإنسان بداخله من أجهزة معقدة، بعضها لم يستطع الإنسان حتى الآن، على الرغم من تطوره، أن يعرف كيف تعمل، وبهذا العدد من الأجهزة الصناعية لا يسمح لأي إنسان بأن يتحرك بحرية أو بأدنى قدر من الراحة! يتأمل كل هذه الأجهزة فيقول في نفسه: يا الله إني أرجوك أن ترد له صحته وعافيته وأن تعيده ليقف على قدميه كما دخل إلى هنا على قدميه. الإيمان بالله موجود والحمد لله، ولقد تلقى الصدمة الأولى بكل طمأنينة وبقلب مؤمن، إنما الصدمة المفاجئة من الآخرين هي التي خلقت لديه كل هذه المشاعر المختلطة مع بعضها: الخوف والرجاء، الإيمان والأمل، الحزن والفرح، الحزن بأنه على هذه الحالة، والفرح بأنه لا زال حيًّا، يخرج إلى المحبين الذين اصطفوا

الغرف الخالية، يغسل ما علق بقلبه من الألم بقليل من الدموع الحارة، ثم يوقفها قبل أن يستشعرها خوفًا من أن يراه أحد وهو على هذه الحال فينهار. كيف لا ينهار وهو يرى الجبل الصامد وعيناه دامعتان! نعم إنه جبل، ولكن حتى الجبال الحقيقية جعل الله في داخلها الماء والحياة، سوف ينهار الجميع بانهياره، عليه أن يبكي بصمت، وعليه أن يتألم بلا ألم وأن يعاني بلا معاناة، كل هذه الحالات مرت به وهو بجانبه، يتطلع وبشوق كبير إلى نظرة من عينيه يعرف بها بأنه في عالم الأحياء، البعض ثار والبعض بكى والبعض تباكى إلا هو، كان يكتم كل شيء، يهدئ من روعهم جميعهم، ويجد أنه بحاجة ماسة إلى من يمسح عنه شيئًا من الألم، إلى من على الأقل يشعر بأنه يعاني. مرت الأيام الخمسة وكأنها خمسون سنة، خمسون سنة من القلق والألم والسهر، وتحمل تصرفات الآخرين الممعنة في النفاق والمكشوفة له وكأنها كتاب مفتوح فقد جلدتيه، ومع هذا عنوانه لا يزال واضحًا له، مر اليوم السادس ببطء كباقي الأيام التي سبقته، وفي نهايته عندما أفاق وفتح عينيه، تألم وبشدة لأنه لم يستطع أن يقول شيئًا، ناوله الورقة والقلم كما طلب، حاول جاهدًا أن يكتب شيئًا فلم يقدر إلا على كتابة كلمتين فقط – ماذا حدث؟ – اعتصره الألم وبشدة وهو يرى أنه غير قادر على تذكر ما حدث، والآخرون نظراتهم تتركز على نظراته، ويتعجبون كيف عاد! كانوا على وشك أن يتحدثوا بأنه فارق الحياة، يرى

البشر هو الذي أوضح له اللّه سبحانه وتعالى حقائق المنافقين، ومع ذلك لم يصرح بأسمائهم أو بالإساءة إليهم.

دعا اللّه أن يكشفهم، هل يعقل أن يتمكن شخص أو أشخاص من أن يكونوا على هذا القدر من التملق لأجل حطام من الدنيا قليل؟! كل ما يهمهم هو حب أنفسهم وحب التملك، أما الحب الحقيقي نفسه فبعيد عنهم كبعد الشمس عن الأرض. أما ما يهمه هو، ما يهمه في الأمر كله، أن غاليه قد نجا وكتب اللّه له ميلادًا جديدًا، الحقائق سوف تبقى حقائق، والرياء يظل رياءً حتى لو غُلف بأرقى أنواع الأغلفة، تذكّر حينها ما قاله في موقف سابق..... :

هناك فصل اسمه مخيف

فيه تسقط أوراق الخريف

و تموت فيه أشجار كبار،

وتنجلي به حقائق الأمور،

وتمنى لو أن ذلك الفصل يأتي اليوم، وتذكّر أيضًا ما قاله في موقف سابق آخر...... :

عسى اللّه أن يستجيب الرجاء،

فتُغفر كل الخطايا العظام،

ويُمحى الرياء الذي في القلوب،

اسمه، فاته قطار العلم والسبب شدة خوفه من معلم الكُتاب الشيخ عبد الجبار رحمه اللّه، وقف العم سعيد أمام المدير منتصبًا رغم أعباء السنين، مرت ثوانٍ سرح فيها العم سعيد بعيدًا والمدير منشغل بأوراق بين يديه، ماذا كان يضير الشيخ عبد الجبار لو أحسن معاملته؟ لم يكن لينقص منه شيء لو أعطاه فرصته ولم يعامله تلك المعاملة القاسية الخالية من الرحمة التي كانت سببًا لحشره في خانة الأميين. تخيل نفسه جالسًا والمدير يقف أمامه وكل يؤدي دور الآخر، انتفض من الفكرة التي جالت برأسه، تعوذ من الشيطان الرجيم، واستغفر اللّه – كل واحد يأخذ نصيبه – رددها في نفسه، شعر بحسرة شديدة، ترحم على الشيخ عبد الجبار واستغفر له أيضًا. تنبه على صوت المدير: "واحد شاي يا عم سعيد وجيب معاك كاسة مويه، وخذ هذه الأوراق لحسنين". أخذ الأوراق وتحرك دون أن يتكلم، حسنين ذلك الشاب المتعجرف الذي لم يمض على تعيينه سوى بضعة أشهر أصبح يتحكم في تحركاته وسكناته، وهو الذي يعمل في هذا المكان قبل أن يفكر أبو حسنين بأن يكمل نصف دينه، يا لسخرية الزمن، أوصل الأوراق وأحضر الشاي والماء للمدير! ثم عاد إلى مقعده بين أربعة جدران يشاركه فيها مجموعة من فناجين الشاي والقهوة وثلاجة عتيقة وموقد غاز، يكاد الثلاثة يكونون من جيل واحد! نظر أمامه إلى الجدار، أجال ببصره في الغرفة وسقفها، يا لهذا الجرس! ألا يكف عن الرنين قليلاً؟ لبى النداء

فانخرط في الأعمال. عمل في عدة مهن تناسب سنه، وصارت المهن تتبدل حسب تبدل السن، لم يعرف طعمًا للراحة منذ الصغر، وعلى الرغم من ذلك، كان اليتيم المرح، يخفي أحزانه أمام الناس بالبسمة والضحكة وخفة الدم، وعندما كبر قليلاً تساءل: لماذا قسا عليه الشيخ عبد الجبار؟! لم يجد جوابًا إلا عندما اشتد مرض والدته وعرفت أن المنية قد قربت، قالت له: "سعيد لقد أخفيت عنك سرًّا أرجو أن تسامحني يا ولدي، لقد خطبني الشيخ عبد الجبار من أبي عدة مرات ولكني لم أرضَ به زوجًا، وتزوجت أباك، وعندما مات أبوك، كرر الشيخ عبد الجبار محاولته ولكنني رددته من أجلك، وهذا هو السبب في قسوته عليك. سامحه الله". ردد آخر كلمات أمه وأسلمت الروح إلى بارئها. قالها مرة أخرى "سامحه الله". أفاق العم سعيد من رحلته على صوت خطوات مسرعة إلى الخارج فقد انتهى وقت الدوام. خرج مسرعًا يسابق الجميع والكل يداعبه سائلاً: "على فين يا عم سعيد؟". والعم سعيد يردد لهم جوابه المعتاد: "اليوم رايح أشوف العروسة"، ويالها من أمنية تمنع عنها عندما كان شابًّا خوفًا من تكرار مأساته مع ابنه، ثم أصبح يلهث وراءها دون كلل ويمني نفسه بها بعد أن تقدم به العمر وهو يعرف أن ليس فيه ما يغري امرأة للارتباط به، لا وظيفة، لا شباب، لا مال، ولكن ما هي إلا أماني وطريقة أخرى من طرق التسلية التي يُرَوِّحْ بها عن نفسه! غدًا يومًا جديدًا وعسى أن يكتب الله فيه خيرًا.

يشعر بالرجولة والصلابة وهو يصارع أمواجه بمركبه الصغير مقارنة بحجم الغدار، لماذا كل هذا العشق الكبير له! هل لأنه ولد وتربى قريبًا منه يشم رائحته كل يوم، هل لأنه مصدر رزقه؟! هل، وهل كثيرة تتردد. تعب رأسه من الأسئلة، أطفأ المحرك، صمت طويل زاد ظلمة الليل وحشة ورهبة، فتح الزجاج قليلاً، جاءه صوته هادرًا وكأنه غضبان، تذكر غضبه في ذلك اليوم، أغلق الزجاج مرة أخرى، أدار مفتاح الراديو، انطلق الصوت رخيمًا، بآيات كريمة (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)، صدق اللّه العظيم. قالها وأقفل الراديو، يا لها من مصادفة عجيبة! سرت في جسمه رعشة خفيفة واجتاحه شعور بشيء من الحزن ممزوج بكثير من الإيمان. نعم، يا لها من خيرات كثيرة يضمها في أحشائه يمكن إخراجها منه بفضل اللّه، ويضم في أحشائه أيضًا أشياء كثيرة تدخل فيه طائعة ولا ترجع وأيضًا بإرادة اللّه! أحس على الرغم من برودة الجو بحرارة تنساب فوق خديه لم يستطع حبسها، انهمرت غزيرة وكأنها تسابق حبات المطر التي زاد نزولها، ارتفع صوته بالبكاء، مرت فترة ليست بالقصيرة، مسح الدمع بأطراف أصابعه، تعوذ من الشيطان واستغفر اللّه ثم دعاه.

أبدًا. ما الفائدة من الحزن؟! لقد مرت سنوات كثيرة وهو لا يزال يتذكر كل شيء وكأنه حدث قبل لحظات، منذ ذلك اليوم وهو يعيش وكأنه نصف إنسان، يصارع الغدار وحده، حب قوي يربط بينهما، ألم يقولوا له بأنهما أتيا إلى هذه الدنيا والفارق بينهما دقائق، كيف ينساه! شعر بكلماته الأخيرة يتردد صداها في كل مكان، نعم كيف ينساه، وكيف يهجر الغدار!

كان هو يُطرب لذلك الصوت، يتحين اللحظات ليطلع إلى السطح لكي يشعر بأنه أقرب إليها، كان يتعجب كيف أن هذا الجسم الكبير بكل ما يحمل في داخله، كما قيل له، كيف يستطيع أن يطير! قيل له إنها إحدى المعجزات التي ألهم الله سبحانه وتعالى الإنسان ليسخرها لخدمته. كاد يطير من الفرح في اليوم الذي وجد اسمه من ضمن المقبولين للسفر إلى الخارج لدراسة الطيران، ليته كان يعلم! قالها وكأنه تحسر على عمره الذي أفناه، ثم تراجع وقال لنفسه إنني أفضل من غيري بكثير، لقد وجدت ما أريد وأكثر مما أريد، على الرغم من ذلك فقدت الكثير وأكثر مما كنت أتوقع فقده. قرر أن يعتذر عن رحلة اليوم، أمسك هاتفه الجوال وطلب الرقم، رد عليه الطرف الآخر، أنت تعرف بأنه يستحيل ذلك، إلا أن يكون الظرف طارئًا وقبل الرحلة بوقت كافٍ، ليس هناك وقت لشخص آخر. نسي نفسه، ونسي تعبه، فقام متوجهًا إلى الخارج "روبرت كوم هِيَرْ"، جاء روبرت، عرف ما يريد، أحضر السيارة فرمى بنفسه في المقعد الخلفي، إنها حوالي نصف ساعة إلى المطار، لعلي أستطيع أن أجمع بها أشلائي، آآه، لماذا لم يقبلوا تحويله إلى أرضي، ولماذا لم يقبلوا تقاعده المبكر؟! ليتهم يعلمون أنني فقدت ذاك البريق الذي كنت أراه في أعين الناس، لم أعد أشعر به، لم أعد أحب سماع كلمة كابتن، قد يسأل البعض لماذا، وقد يقول البعض إنها تكبر على نعم الله، لا والله ليست تكبرًا، ولكنها مراجعة

حتى وصلت إلى داخل قاعة المغادرة، نظرت حولي ثم دارت بي الدنيا، جلست وإنما الدنيا لا زالت تدور حتى إنني لم أعد أتمالك أن أجلس مع أنني جالس! فتحت عيني فإذا أنا في سرير وحولي عدد من الوجوه الغريبة التي لا أعرفها! وجه واحد من بين الوجوه أعرفه جيدًا، كيف لا وهو من ضحى معي وقاسمني الفرح والألم، إنه وجهها هي. بدأت مسيرتها معي عندما كانت في التاسعة عشرة، وها هي الآن على مشارف الخمسين، ولكنها لا زالت تتمتع بنفس الحيوية والنضارة والنشاط على الرغم من كل الهموم التي مرت بها. رفعت يدي وأمسكت بطرف ردائها، سحبته برفق، فنظرت إلي بعينين حانيتين لمحت فيهما بقايا دموع، أردت أن أتكلم ولكن الكمامة التي فوق فمي منعتني من الكلام، أشرت لها بيدي مستفسرًا عما حدث، لم تتكلم إنما أشارت لي بيدها أيضًا أن اصمت. لم تقصد ذلك إنما قصدت أن أرتاح. عرفت ذلك من النظرات التي لامست بها عيني، آآآآآآآآآه! كم نظلم أنفسنا ونحن نظن أننا نسعدها، كم نقسو على أنفسنا ونحن نلهث وراء المجهول! هل هذا هو الطموح الذي لا يعرف الحدود ولا القمم؟! ربما يكون أي شيء، ولكنه بالتأكيد ليس ما خُلقنا من أجله فقط، مرت الذكريات سريعًا، تذكرت يوم زفافنا بفستانها الوردي والشعر الأسود الجميل الذي أرسلت جزءًا منه على جبينها وتركت الباقي ثائرًا خلفها على غير ما كان متبعًا، لقد أحبت أن تكون شيئًا مختلفًا يومها، أليست أيضًا تزوجت شيئًا مختلفًا عن أخواتها

لا تعلم شيئًا، لقد.. لقد.. وسالت دمعتها ثم خرجت من الغرفة.
حاول الجلوس، لم يجد لديه القوة الكافية لرفع نفسه عن السرير، ظل لثوانٍ حائرًا، أتاه الطبيب معها، وفجر القنبلة التي كان يبحث عنها، لقد مرت الأزمة بسلام، وإنما أنا آسف، ولكنك لن تستطيع الطيران بعد الآن، قالها الطبيب وسكت.
كان يتوقع أن ينفجر باكيًا أو يتألم، ولكن الذي أصابه بالذهول أنه قال: الحمد للّه، أخيرًا حصلت على ما أريد، وتهلل وجهه.

مصطنع، يرى فيه شبابه ودائمًا تدور بينهما محاورات طويلة يقدم له فيها ما أمكن من معلومات، أما الباقون فيرونه خطرًا يجب الوقاية منه، سيلٌ قادم وهذا مجراه، لن يستطيعوا إيقافه، ولكن يمكنهم إبطاء وصوله والحد من خطورته بما يستطيعون من وسائل، هو الوحيد الذي يشعر بأنه الغريب بينهم، أما هم فمن جنسيات مختلفة، يجمع بينهم هدف واحد يترجمونه إلى أوراق ملونة يراها مع بعضهم آخر كل شهر، تذكره بأوراق الخريف التي كان يمر فوقها وهو يتنقل بين صالات المحاضرات في الجامعة، يعاملونه بطريقة تكاد تكون واحدة لولا اختلاف جنسياتهم، يشعر بألم ولكنه قرر أن يصمد، جلس في مقعده، استراح قليلاً ثم فتح الحقيبة البنية التي ترافقه في تنقلاته، نظر إليها، مجموعة من الكتالوجات، سندات قبض وفواتير لم يستعمل منها إلا الشيء القليل جدًا، أغلقها ووضعها جانبًا، أخرج من جيبه رزمة من الأوراق الصغيرة وبعض البطاقات، شيء منها كتب عليها اسمه وتحته عبارة (مندوب مبيعات)، نثرها أمامه، وزعها في مجموعات، انتظر قليلاً ثم رفع سماعة الهاتف وطلب الرقم الأول، عرَّف نفسه: "أنا صابر لقد زرتكم قبل يومين". تلقى اعتذارًا لطيفًا "لا نحتاج إلى شيء الآن، سوف نتصل بك فيما بعد". طلب الرقم الثاني والثالث والرابع و...... نفس الإجابة، أرجع السماعة مكانها وهو يشعر بإرهاق شديد، أخذ يفكر في نفسه، بقى عليه أربعة أيام ويتم شهره السادس في هذا العمل وهو

نفسه. إنه الانطباع الأول هو بعينه، معظم الذين يجدهم على المكاتب أو خلف الكاونترات أثناء زياراته التسويقية ليسوا من أبناء جنسه. عرف معنى الانطباع الأول بالنسبة لهم، يحسبونه زبونًا، يتخيلونه خزنة حديدية بقدمين مفتاحها بأيديهم. نهض واقفًا وكأنه وجد ضالته، خرج مسرعًا إلى البيت، دخل بسرعة، علق ثوبه وغترته وأخذ بنطالاً أنيقًا ارتداه، أحكم إغلاق أزرار القميص حول رقبته وتأكد بأن رابطة عنقه في المكان الصحيح ثم خرج، أوقف سيارته أمام أول معرض ظن بأنه يحتاج إلى خدماته، دخل بكل جرأة، سلم مضيفًا لكنة غريبة على كلماته لتخرج عربية مكسرة. قوبل بكل اهتمام، دار كلام قليل، بعدها أخرج دفتر فواتيره ودوّن فيه الطلبية، خرج منتشيًا وكأنه انتصر في معركة، كيف لا وهو قد عرف السر!

قالها أحدهم وبصوت واثق وكأنه اكتشف نظرية علمية هامة. لا يدري بأنه سمع هذا الكلام كثيرًا، لقد سدت في وجهه كل الطرق، شهادته التي تحصل عليها لم تسقه شربة ماء - كما يقولون - طرق باب الجامعة بكل السبل على الرغم من "جيد جدًا" التي تذيل شهادته، وبعدها لم يترك بابًا من أبواب العلم المتاح لمن هم في مثل ظروفه المادية إلا وطرقه، ولكن دون جدوى، إنها النسبة هذه التي سدت أمامه الطريق. عمل في المهن الصغيرة والتي ينغمس فيها كثير من الأميين: عامل في مطعم، بائع على قارعة الطريق، ومهن أخرى يستحي أن يراه أحد معارفه وهو يقوم بها، ليس لأنها مشينة، ولكن لأن الناس تنظر إليها كذلك. طموحه كبير ولكن إمكانياته ضربت من حوله بسياج عالٍ وأصبح كأنه في حفرة مظلمة لا يدري كيف يخرج منها. "ها، إيش رأيك في الكلام اللي سمعته؟" أتاه صوت صديق والده، أجاب: "من، أنا؟ اللي تشوفوه" قالها وهو لم يكن معهم لبعض الوقت ولم يسمع كثيرًا مما قالوه ولكنه تعود على مثل هذه النهاية لكل حديث من هذا النوع. كثيرون هم الذين يملكون الكثير ولكنهم يتجاهلونه هو وجيله، هذا الذي هم في حفل زواجه، إنها المرة الخامسة أو السادسة التي يفعلها وليست مقتصرة على الأقارب والأصدقاء، لديه من المال الكثير الذي لو استغله بالطريقة المناسبة لفتح أبوابًا كثيرة له ولأمثاله، ولكنه يبذره في إرضاء شهواته تاركًا خلفه الضحايا الواحدة تلو

آخر، رأى الشمس وقد بدا ضياؤها لتعلن يومًا جديدًا، إنها السنة الثالثة التي قضاها وهو هائم، يشعر بأنه أصبح عالة على والده، وفي بعض الأحيان يشعر بأنه عالة على كل شيء حوله، يحمل فوق كتفه همومًا لا حصر لها، وفي نفسه إصرار كبير لإنجاز شيء مهم لا يدري كيف يصل إليه. تدور في رأسه مشاريع كثيرة يصفها بعضهم بالخيالية، ولكن الذي يتكلم عنه واقع يمكن تحقيقه. وصل إلى بيته، سلم على أمه وطلب منها أن توقظه لصلاة الظهر، إنها الثانية عشرة. قالتها له وهي تربت على كتفه بحنان، فتح عينيه، توضأ واستعد للخروج ولكنه غير رأيه، حزم حقيبة صغيرة وأخرج من دولاب ملابسه صندوقًا صغيرًا فتحه ونظر بداخله، إنها قليلة ولكن هي كل ما يملك. أفرغ محتوياته في جيبه ودنا من أمه بكل خوف، إنها هي الوحيدة التي تفهم ماذا يريد، سارَّها بعزمه وبما نوى بأن يجرب حظه في العمل بمكان آخر بعيدًا عن كل من يعرفه. ترددت كثيرًا قبل أن تقول له: "وفقك الله إن قلبي معك". تركته قليلاً ثم عادت ودست في جيبه شيئًا عرف أنه بعض النقود، ألقى نظرة أخيرة على أبيه وإخوته النيام ثم خرج لا يدري إلى أين! ولكنه يعرف يقينًا بأنه أخيرًا وجد نفسه...

وكأنها سبع سنين، سوف تستقبله كعادتها في كل مرة بإبريق الماء البارد والمنشفة التي عطرتها قبل أن تضعها على كتفها وهي تفتح الباب تسبقها ابتسامتها التي تمسح عنه كل تعبه، تُقرب له الكرسي الصغير الذي صنعته بيديها من جريد النخيل وسعفه، سيغمس قدميه في الماء الدافئ وهي تقف خلفه تمرر يديها على رأسه داعيةً الله أن يحفظه لها حتى يتمكنا من تربية القادم الذي بدأ يتحرك في أحشائها، تنبه وإذ هو على بعد أمتار من الشارع الصغير المؤدي إلى بيته المتواضع، أتاه أصوات أناس يتضاحكون وبعضهم يُحوقل، سمع صوته من خلال الأصوات المتعالية يأتيه مشوشًا ويتضح قليلاً قليلاً كلما اقترب، حشر نفسه بين الكتل البشرية حتى وصل إلى المقدمة، رآه أمامه، إنه هو كما يعرفه بجسمه النحيل وشعره الأبيض ولحيته الخفيفة التي لم يبقَ من سوادها إلا الشيء القليل، هو نفسه بوقاره المعهود ولكن زالت عنه هيبته وصرامته التي رسمتها السنين تجاعيد على وجهه الأسمر، عرف ذلك من نظرات الازدراء التي شاهدها في أعين الحضور، أصبح أمامه وجهًا لوجه، رفع رأسه ونظر إليه عله يشعر به، ولكنه أرسل إليه نظرة خاطفة وهو واقف على الكرسي الطويل الذي اعتاد أن يجلس عليه كل يوم، مرت به نظراته وتعدته إلى بعض الذين تجمهروا حوله وكأنه لم يره وهو الذي كان يقضي معه الساعات الطوال خلال فترات راحته يحدثه فيها عن السنين التي قضاها يتنقل بين المدن والقرى. مرت فترة

من أول مرة وكان عمره آنذاك لا يزيد عن السادسة عشرة، وكيف أنه على الرغم من نجاحه في الاختبار لم يستلم الرخصة إلا بعد مرور عام كامل، تذكر ما قاله له في ذلك اليوم وكيف أنه قضى أربعين عامًا من عمره في سفر دائم، تربى الأولاد وكبروا لا يعرفهم ولا يعرفونه، هو فقط مجرد اسم بعد كلمة (بن) في أوراقهم الثبوتية وكأنه كومة أوراق نقدية تلبي لهم طلباتهم! ذهب كل منهم إلى بيته الخاص، أما رفيقة دربه فصارت إلى رحمة الله، كان في ذلك اليوم في قمة الحزن، أما اليوم فهو على حافة الجنون، لم يأبه به أحد، إنه ليس مهمًّا كما يقول، ولا أحد يعرف قيمته الحقيقية وهذا الذي أوصله إلى هذه المرحلة. أتاه صوتها: "العشاء جاهز". تناول عشاءه معها وقلبه معه، قضى ليلة طويلة، وفي الصباح الباكر ذهب إليها حيث هي في الساحة الكبيرة، أخذها إلى أقرب مغسلة، نظفها وانطلق بها وهو عازم بأن يكون هذا هو يومه الأخير معها.

يتدلى من جيدها جديلان بلون رائع جميل بين الذهبي والنحاسي، وفي طرف كل جديل قبعة من نفس اللون تتناوب في لبسهما أثناء مداعبة أحدهما لها، كنت أراها أمامي منذ أن فتحت عيني على الدنيا، لا أدري كم كان عمرها ولكني أعرف يقينًا أنني كنت ما بين الرابعة والخامسة من عمري عندما تنبهت جيدًا إلى وجودها، أعتقد أنها كانت قبلي بكثير، كنت أمر من جنبها وأنا أخشى على نفسي منها، فغالبًا ما يكون الشرر يتطاير من رأسها وأتخيل أن عينيها كذلك، أما أنفاسها ففي أغلب الأحيان ساخنة أشعر بها عندما أمر من جانبها أو أقف بالخطأ قريبًا منها، كان أبي ينهرني بشدة إن حاولت أن ألمس جزءًا منها. كان يحبها إلى حد الجنون، وأعتقد أنها كانت هي أهم من أي واحد فينا في البيت، يسأل عنها حال دخوله البيت، وبعد الغداء يختلي بها ويجلس في هدوء معها يداعبها، أسمع كركرتها وأنا أراقبه من بعيد، أراه يضع فمه على مبسمها وهي تصدر صوتًا يوحي لمن يسمعها أنها تضحك، ولا أدري أهي تضحك منه أم عليه! يقضي معها على الأقل ساعة أو ساعتين يوميًا بعد الغداء ثم يسترخي تدريجيًا، تراه أمي وهو نائم بجانبها – وعلى الرغم من أنها كانت تغار منها إلا أنها تهتم بها أيضًا من أجل خاطر أبي – وكانت إذا رأته في تلك الحالة مسترخيًا بجانبها وخاصة بعد الغداء تغطيه بشرشف خفيف، ثم تسحبها بعيدًا عنه. هكذا نشأت وأنا أراها كل يوم، كنت أمني نفسي أن أتقرب إليها أو منها أو أداعبها كما كان يفعل

الرجل عنها، أخبرني أنها أصيلة جدًّا، إنها من عـ،، أي عد،،، أحببتها مذ رأيتها، دفعت له ما طلب، ومن شدة حبي لها، أركبتها في المقعد المجاور لي، وزيادة في الحرص ربطتها بالحزام، أدخلتها خلسة إلى غرفتي واخترت لها مكانًا مناسبًا، ألبستها أحسن الثياب ثم غطيتها بغطاء مطرز لأخفيها عن الأنظار، فقد كنت أريدها أن تكون لي فقط، مرت سنوات وأنا معها، حتى بعد أن تزوجت أخذتها إلى بيت الزوجية، تضايقت منها زوجتي في البداية، وكان ردي: إما هي أو أنت، ولحب زوجتي لي ومحافظة على بيت الزوجية، رضخت زوجتي لما قلت في نهاية الأمر، على الرغم من أنني كنت فظًّا في قراري وكانت زوجتي أرجح مني عقلاً في تلك اللحظة بالذات، مرت السنون وأنا أفعل مثل ما كان يفعل أبي، أقضي معها ساعة أو ساعتين بعد الغداء، وأحيانًا أتمادى وأقضي معها شطرًا من الليل.

وفي يوم من الأيام، دخلت عليها كعادتي رغبة في مداعبتها، لم يعجبني منظرها، كانت تميل إلى أحد الجانبين، داعبتها كالعادة، سمعت ضحكتها المكتومة لا تكاد تبين، أما أنفاسها فلم تعجبني، أكملت مداعبتي لها، ثم بعد العصر اصطحبتها معي إلى الرجل الذي أخذتها منه، وجدته كما هو في ذلك الحي الشعبي العريق جالسًا في محله البسيط محاطًا بكثير من بنات جنسها، بدت عليه آثار السنين، ولكنه لا زال متمسكًا بأخواتها، نظر إليها ثم نظر إلي وقال: "أعتقد إنك من زمان ما كشفت

قضيت أكثر من خمسة عشر عامًا وأنا بصحبتها، وكل ما في داخلي يتحمل ذلك مني ومنها، دخلت بيتي وأنا ساهم، وكأنني كنت نائم فاستيقظت فجأة على كابوس مزعج، دخلت إلى حيث كانت، وبكل هدوء أخذت بقية أغراضها ولففتها بكيس نفايات أسود ثم رميته في مكب النفايات القريب من بيتنا، وبسرعة دخلت إلى دورة المياه، حاولت أن أخرج كل ما في داخلي، فلم أستطع، أخيرًا قررت أن أنظف خارجي على الأقل من أجل المسكينة زوجتي التي تحملت وجودها معي كل هذه السنين، مسكينة زوجتي، كيف كانت تطيق رائحتي ورائحة أنفاسي المحملة بتلك السموم، وأنا كنت غافلاً عنها! مرت أيام وزوجتي صامتة لم تسألني عنها، وأخيرًا عرفت أنني هجرتها، بعد أن قضيت معها سنوات في الغفلة، سنوات في تدمير نفسي وصحتي وإيذاء أهل بيتي وبعض معارفي، أعتقد أنكم عرفتم من كانت هي حبيبي التي أحببتها من طرف واحد، من كانت تلك التي قضيت السنوات وهي تضحك عليَّ، وأنا كنت أظنها تضحك معي ولي، مساكين من هم أمثالي، عائشون في وهم، أتمنى من اللّه أن يفيقوا في يوم من الأيام مثلما أفقت أنا وأقلعت عن الشيشة.

هذا هو مسار حياته اليومي منذ أن أنهى دراسته وترك مقاعد الجامعة وهو لا يدري ماذا يريد، شهادته علقها على الحائط بعد أن نسخ منها عشرات الصور، كل الأعمال يظن أنها أقل من مستواه أو لا تعجبه، لهذا فإنه ينظر إلى الآخرين وإلى المجتمع وإلى كل شيء بأنه تافه، ظالم، وهو المظلوم الوحيد! وهكذا مرت عليه السنون وهو لم يصل بعد إلى ما يريد، وربما إن استمر على هذا المنوال فلن يصل أبدًا. يشعر بأن هناك شيئًا ما ينتظره، فلمَ الاستعجال للانخراط في أي عمل؟! تمر أيامه ولياليه بلا هدف واضح، كل ما في الأمر أنه يعتقد بأنه سينال الوظيفة التي يرغبها أو المفصلة عليه بالقياس، تمر عليه الأيام والليالي من غير أن يعرف كيف يستشعر طعمها أو يحس بها، وإنما منذ أيام قلائل صار لها طعم آخر، إنها أصبحت مثل الليلة السابقة التي صارت جزءًا من حياته، لقد كانت ليلة ساخنة، تلك التي قضاها مع أصدقائه الجدد الذين تعرف عليهم في نفس الليلة في المقهى الشعبي القريب من داره والذي يقضي فيه بعض الوقت كل ليلة، لقد كان للشيطان نصيب وافر في تلك الليلة، تمنى لو أن ساعاتها طالت أكثر من ذلك. أصبح يكسب الأصدقاء وكأنه يشتري علبة مرطبات من أي بقالة على قارعة الطريق، كل منهم لديه ما يكمل به احتياجات الآخر.

مرت الأحداث سريعة من حوله وهو سابح في الخيال، رموا به في المقعد الخلفي للسيارة يحول بينه وبينهم شبك حديدي وأبواب لا يمكن فتحها من الداخل، صوت قوي ينطلق وأناس كثيرون تجمهروا، بعضهم يعرفه وبعضهم يراه لأول مره، نظر في الوجوه ثم أرخى رأسه بخجل، وصار ينظر إلى ما بين قدميه من خلال يديه المكبلة أمامه، إذن هذه هي بداية النهاية أو نهاية البداية للطريق الذي سلكه مؤخرًا، وربما تكون مسيرة حياته القادمة. وقف أمام الضابط الشاب، فسأله بصوت قوي: "أنت كامل؟" ونطق باسمه الرباعي، أجابه: "نعم أنا هو". هل تعرف....،..... سرد عليه أسماء أصدقائه الذين تعرف عليهم حديثًا، أجاب: "نعم أعرفهم"، متى آخر مرة رأيتهم؟ "قبل أكثر من عشرين يومًا"، وهل تعرف فلان؟ "لا لا أعرفه". وهل هو يعرفك؟ "لا لا يعرفني". أتعرف لماذا أنت هنا؟ "نعم.. لا لا لا لا أعرف". قال له الضابط بلهجة المهدد الناصح: من الأفضل لك أن تعترف بكل شيء وإلا سوف يكون عقابك أشد، قالها الضابط وهو ينظر إلى وجهه بتمعن، ثم أردف: إن أصدقاءك أخبرونا بكل شيء، ومن الأفضل لك أن تقول ما تعرفه وإلا.... أتبعها بكلمات تهديد قوية مدخلاً فيها بعض الألفاظ التي يفهمها هو وأصدقاؤه ويستخدمها من هم على شاكلتهم. "كع له كل شيء" كما يقولون دائمًا بينهم، أي إنه لم يترك شيئًا يعرفه إلا قاله، وقال أشياء كثيرة أيضًا لم يُسأل عنها، ثم أخذ يبكي، جلبوا له كأسًا من الماء، وبعد أن شربه،

يزوره لأول مرة. أخذ يفكر في نفسه بصمت، تنبه على صوت أحدهم يسأله بصوت جريء: "ها إيش اللي حذفك علينا؟ حادث، ولا ملون، ولا يمكن..". تلون وجهه عندما سمع الكلمة الأخيرة، نظر إلى مصدر الصوت، إنه رجل ضخم الجثة يبدو على مشارف الخمسين، عريض الوجه والكتفين، تشوب وجهه كآبة، له شارب كثيف ولحية يبدو أنها لم تُحلق منذ أيام فقط يتخللها بعض البياض، أما الأسنان فعليها طبقة ما بين السواد والاصفرار، وبعضها غير موجود أو جزء منه مفقود، وأردف قائلاً: "يا واد ترى باين عليك عظمك طري، بكره تروح هناك عند العتاوله، إيش تبغى تسوي؟ خلاص وصلت، ما يبغى لها كلام". ثم استمر الرجل ضخم الجثة في الكلام، وكأنه شريط تسجيل لا نهاية له، فسرد عليه قصته من أول يوم دخل فيه الفندق المجاني - كما يسميه - لأول مرة إلى أن أصبح الخارج بالنسبة له غريبًا وصار يحن للداخل حنينًا متواصلاً لأن أصحابه في الداخل أكثر، وهو يفتخر بذلك، وختمها بقوله: "يعني إيش فيها الحياة بره؟ ما في غير المشاكل، على الأقل هنا أكل ومرعى وقلة صنعه، خلي بره للـــ...". قال كلمة اهتز لها سامعها وشعر بحياء منها، سكت ولم يرد عليه، فقد كان بعض ما قاله ينطبق عليه، ثم عاد توالي الأسئلة عليه بعدة لهجات وبعضها عربي مكسر، لم يرد على أحد، إنه في حالة لا تمكنه من الحديث أو المشاركة في أي شيء، لأول مرة يدخل في مكان كهذا وهو الآن قد تجاوز

يدري عن أي شيء، جعلها تجربة من التجارب التي أصبح يمارسها في حياته. إن حياته عمومًا كانت تسير بطريقة عشوائية فيها الكثير من الإهمال، ينام أكثر نهاره حتى بعد العصر، ثم يخرج هائمًا من شلة إلى شلة حتى حط به الرحال مع هذه الشلة الأخيرة التي بواسطتها وصل إلى هنا، إنه خريج جامعة، نال قسطًا طيبًا من الدراسة، لم يعمل في مجال تخصصه ولا في أي عمل آخر إلا فترات قصيرة متقطعة، لا تعدو على أنها كانت فقط لإسكات صوت عمته الوحيدة التي تسكن في الشقة التي تحته وهي التي رعته بعد موت والده أيضًا، لأنه أخرج أمه من الدنيا عند قدومه إليها، كان والده يقول له ذلك في بعض الأحيان. أنفقت عليه عمته الكثير من قبل ومن بعد موت والده، حتى إنها زوجته، ولا زالت تنفق عليه حتى الآن، عامل زوجته بكل قسوة، وبعض الأحيان بكل إهمال، يتركها بالشهور عند أهلها ولا يسأل عنها مجرد سؤال، أو ينساها في بيت عمته دون أي كلمة أو مصروف، كيف يمكن له أن يصرف عليها وعمته هي التي تصرف عليه! هذه هي حاله منذ أن تخرج، على الرغم من مرور أكثر من ثماني سنوات على تخرجه، ما سبب كل هذا الذي أنا به، ولمَ لم أستطع الخروج منه؟! بكى مرة أخرى، ثم تذكر كيف أن أباه كان يغدق عليه من الدلال أحيانًا، ويقسو عليه أحيانًا، ولكنه في النهاية يرضخ له ولطلباته التي لا تنتهي، وكان يلبيها له على الرغم من حالته المادية المتواضعة، لقد دلله كثيرًا عندما

لتغيير مسار حياته إلى الأفضل، لقد مرت عليه فرص كثيرة كان يمكن أن يستغلها لصالحه، وكان لديه وقت كافٍ للتغيير، ولكنه هو الذي أعجبه الحال التي هو فيها، وعود نفسه عليها، لقد ظلم نفسه بمحض إرادته، ربما بعد أن يخرج يستطيع أن يتغير، ولكن بعد فوات الأوان لأن الضربة هذه المرة موجعة.

جميلة ذكر فيها بأن الخدمات التي قدمتها كانت جليلة جدًّا، ولكننا وبكل تقدير لكم نستغني عن خدماتكم. سنوات مرت قضاها يكافح من أجل لقمة عيش هنيئة، وبعد كل هذا التفاني والإخلاص تكون هذه هي المكافأة التي توقع أن يحصل عليها، هكذا بكل بساطة، لا توجد أسباب ولا حقوق، هل لأن أساس العمل كان مع من حنّت عليه أمه وأخذته في أحضانها ولاقى ربه بما فعل؟! لم يكن هناك عقد عمل محدد، فقط صبي وعمه، طوى الخطاب وأعاده إلى مظروفه مرة أخرى وهو يرى ضبابًا أمام عينه بالكاد استطاع أن يعيد الخطاب إلى مكانه، يخالطه شعور بأنه يدفن نفسه حيًّا، ثلاثة وأربعون عامًا قضاها من عمره في هذا العمل، يقبع في دكان صغير خلف مكتب حديدي في وسط البلد وتحيط به أرفف مليئة بألوف من القطع الصغيرة التي ما فتئت تتطور وهو يتابع تطورها من مكانه الصغير، من لمبات إلى ترانزستورات، إلى آيسيهات، إلى أجهزة صغيرة معقدة عجز أن يجاريها أو يعرف خباياها، ولكنه ما زال هو ذلك الشخص الذي يحفظ أرقامها ويعرف أين مواقعها في أرفف المحل معتمدًا على ذاكرته. بدأ حياته مع صاحب المحل عندما كان في السابعة عشرة، صبر وكافح وجاهد، ولكن رفيق رحلته العملية طوته يد المنون، مرت الأشهر الأولى من وفاته وكل شيء ظل كما هو عليه، أو هكذا بدا له، لم يلحظ أي تغيير، ولم يكن يعلم بأن كل شيء يتغير في الخفاء وهو مستمر في عمله، تحول

قربت منه الشاي، سكب فنجانًا، أضاف عليه قليل من السكر وراح يقلبه، تأمل دوران الفقاقيع في وسط الفنجان، راقبها بكل عناية وهي تدور ثم تلتصق بحافة الفنجان وكأنها تلوذ به هاربة من مركز الدوران، ثم لا تجد منه رحمة إلا أن يدفعها بعيدًا فتنفجر ثم تتلاشى وكأنها لم تكن، على الأقل وجدت شيئًا يجعل لها نهاية حقيقية، أما هو فنهايته كانت هي الدوامة التي لا يدري كيف يخرج منها، لقد كان كل شيء بيده، المكاتبات وعناوين الشركات، وكان باستطاعته الحصول على وكالات لنفسه يوم كانت الوكالات اسمًا وسجلاً تجاريًا فقط، ولكن حبه وإخلاصه لسيده لم يترك في نفسه مساحة ليفكر فيها بما يخدم مصالحه الخاصة، كان جل اهتمامه كيف يكسب رضاه قانعًا بالمرتب البسيط الذي يتقاضاه، لعلها كانت غفلة منه، أو لعلها كانت (هبالة) كما كان يطلق عليه بعض أصدقائه هذا الوصف لإعطائه كل وقته لعمله، لا يدري، ولكنها بالتأكيد لم تكن شيئًا من ذلك.

دقات الساعة تشير إلى الحادية عشرة صباحًا، نظر إلى فنجان الشاي كل شيء فيه ثابت، لمسه، برودة قاتلة سرت في أطراف أصابعه انتهت فائدته مثله تمامًا ولكنه كائن حي يستطيع أن يتطور، لماذا لم تمنح له الفرصة؟ إنها السن كما قيل له، سنه لا تسمح، وكذلك تعليمه البسيط لا يستطيع أن يواكب التطور الذي سيشمل الشركة الجديدة، إنها غلطته هو، لم يواكب

سبحانه. نظر إلى السماء، ناجى ربه بكلمتين في سره وانسكبت من عينيه دمعتين، أخذ الجريدة والتقط قطعتي الحلوى ومشى وكأن شيئًا لم يحدث.

أن أعرف عنه أكثر من اسمه ولقبه رغم السنين الطوال التي قضاها بجانبي محيطًا نفسه بسياج من السرية الشديدة، العلاقة بيننا دائمًا متوترة وهذا حاله مع الباقين، أما هو فتح القفل وسحب سلسلة طويلة كانت تحيط بطاولة وكرسيين وأخذ يراقب انسلاخ السلسلة من بين أرجل الطاولة والكرسيين ويستمع إلى جلجلتها وكأنها تذكره بالسنوات التي انسلخت من عمره وهو قابع في هذا المكان. يبدأ يومه في الصباح الباكر وينهيه بعد الظهر بقليل، عدل الطاولة ثم فتح حقيبة صغيرة كانت معه، أخرج منها قطعة من القماش، فردها على الطاولة وشد أطرافها بشريط من المطاط، ثم أخرج بقية العدة: مجموعة من الأوراق المسطرة رصها بعناية ووضع فوقها قطعة صغيرة من البلاط، ملفات، دباسة، مجموعة من الأقلام وأشياء أخرى بسيطة، أجال بنظره وهو يضع كرسيًا أمام الطاولة وتأكد من وجود الكرسي الآخر خلفه، سحبه ثم جلس منتظرًا أول زبون، تململ قليلاً ثم أخرج من درج الطاولة مجلة قديمة اعتاد أن يتسلى بها في وقت فراغه، وضع نظارته بعدستها السميكة أمامه على الطاولة، وقرب المجلة من وجهه حتى كادت تلامس طرف أنفه. راح يقلب بصره بين المواضيع التي قرأها عشرات المرات، شعر باقتراب شخص ما، أتاه صوتها متلعثمًا (السلام عليكم) رد عليها السلام، وضع مجلته جانبًا، لبس نظارته ثم رفع بصره إليها مقطبًا حاجبيه واضعًا يده أمام جبهته بحركة لا إرادية تعود عليها عندما يريد أن يتحقق

ولابنتي، مرت السنون، توفيت هي وتبعها والدي - يرحمهما الله - ربيت ابنتي بعد أن عانيت الكثير، أوقفت حياتي عليها، عملت في كل بيت أغسل وأكنس، وعندما تعلمت الخياطة أمسكت بيتي، فكنت أخيط لأهل حينا أشياءهم البسيطة، أنعم الله عليَّ فأغدقت عليها الحنان وعلمتها أحسن تعليم، تزوجت البنت، أما أنا فداهمتني الأمراض، أعيش في بيتي لا أريد أن أثقل على ابنتي وزوجها، الآن أشعر بدنو أجلي، أتيت إلى هنا لأنني سمعت أنه يعيش في هذه المدينة، ثلاث وثلاثون سنة لم يسأل عني ولا عن ابنته، لم أشتكِ أو أتذمر، إنها المرة الأولى التي يعرف أحد بمعاناتي، أشعر الآن بارتياح، لم أعد أريد منه شيئًا، أريده فقط أن يتسلم أمانته ويرى أحفاده، أما عذابي، فحسبي الله ونعم الوكيل!".

قالتها ثم صمتت، شعرت بأنها ألقت حملاً ثقيلاً كان يجثم على صدرها، ولأول مرة أحست براحة تغمرها وتبعث في نفسها سعادة لم تألفها، لم تكن تنظر إلى وجهه، كانت تتكلم وعيناها إلى الأرض، قطع صمتها قائلاً: "سأحاول مساعدتك بكل ما أستطيع، ولكن كيف أجده لك؟ وكيف تأخذين حقك منه وأنتِ لم تقولي ما اسمه؟ إنه.." رفعت رأسها ونظرت إلى وجهه بتمعن، هل هذا معقول؟! عقدت المفاجأة لسانها، نهضت من مكانها وانصرفت، تقدمت نحو سيارة فارهة كانت تنتظرها على قارعة الطريق وهو جالس في مكانه وكأنما صُب عليه دلو ماء بارد، فقدت قدماه القدرة على الحركة لدقائق، قام ليلحق بها، ركبت في المقعد

الجنود، ما الذي دعاها لاستخدام هذه النغمة؟ لا تدري! وإنما أعجبتها، ردت على المتصلة والتي كانت تستعجلها لأن الجميع بانتظارها اليوم، وعليها أن تلقي كلمتها أمام جمع كبير من النساء والرجال الذين حضروا للاستماع لها في هذا المنتدى السنوي والذي تُدعى إليه للمرة الثانية بناء على ما لها من جهود في مجال المنتدى، ذكرتها المتصلة بكلمتها التي ألقتها العام الماضي في مثل هذا اليوم تقريبًا، والتي لا زال صداها يتردد في الصحف ومنتديات الإنترنت، لبست عباءتها السوداء - الخالية من أي تطريز أو نقوش - على كتفيها، ورمت بشال أسود على رأسها وجرت بسرعة إلى غرفة مكتبها، فالتقطت ثلاث ورقات كانت كتبتها بعناية فائقة قبل أيام وراجعتها بحرص ليلة البارحة، تأكدت من مظهرها في المرآة التي عند المخرج، بنطال جينز أسود اللون باهت قليلاً، به بعض النتوءات التجميلية، قميص أبيض قريب من الأنواع الرجالية، تبدو فيه غرزات الخياطة ذات اللون الأسود الغامق واضحة جدًّا، وقفت مرة أخرى لبرهة أمام المرآة، متوسطة الطول، بجسم رياضي متناسق قريب من أجسام أبطال كمال الأجسام اكتسبته من خلال ممارستها رياضات كمال الأجسام، نظرت إلى ساعة يدها، إنها العاشرة والنصف، خرجت إلى الشارع، هالها حرارة الشمس وسطوعها، وضعت نظارتها الشمسية على عينيها، وركبت من الجانب الأيسر خلف السائق مباشرة، قائلة له: "فندق..." تحرك السائق، وهي اعتدلت في

وقوف سيارتها مع رتل السيارات فوق الكوبري، وبين لحظة وأخرى تتحرك السيارات وكأنها واقفة، سيارتها أيضًا كانت تتقدم ببطء، وتلك المرأة أمامها تتنقل بين السيارات، تمد يدها على استحياء لأخذ ما يجود به من هو داخل السيارة ينعم بالهواء البارد، وهي تصطلي بأشعة الشمس الحارقة، وكل همها أن يكون طفلها في مأمن من الشمس. راحت تنظر إلى المرأة التي لفحت أشعة الشمس الجزء البادي من وجهها وكفيها فأصبحت تميل إلى السمار قليلاً على الرغم مما حباها الله من مسحة جمال مستنتجة ذلك من وسامة الطفل المعلق على أسفل ظهرها، راحت تنظر إليها وهي تتنقل بين السيارات بشيء من الاهتمام البالغ والذي تعجبت منه هي نفسها، لماذا تهتم بها؟! لقد رأت مثل هذا المنظر كثيرًا، شعرت بشيء ما في داخل أعماقها يتحرك، وأحست بأن قلبها يزداد نبضًا، لماذا يحصل لها هذا؟! سألت نفسها ولم تتمكن من إيجاد إجابة على ذلك، لا يهم، مجرد شيء عابر، قالتها في نفسها وهي تبدي عدم الاهتمام، شيء غريب الذي تراه في هذه المرأة بالذات! حنانها على طفلها، ونسيان أن تقي نفسها من الشمس لم يحُلْ دون اهتمامها بحماية ابنها، حاولت أن تعود إلى القراءة مرة أخرى، ولكنها طوت الورقات الثلاث وأرجعتها في حقيبتها، سرحت بخيالها بعيدًا، لقد اكتشفت اليوم بأنها أكملت عامها الحادي والأربعين وكأنها عام واحد، مضت الأيام سريعة كما خُيل لها، إنها تكافح وتناضل منذ أن كانت في المرحلة الثانوية

عنهم في شيء، كلنا جئنا من أبوين ومكثنا في بطون أمهاتنا تسعة أشهر ولنا من هذه الدنيا النصيب الذي نريد مما قدره الله لنا، وليس لأحد أن يتحكم فينا أيًّا من كان، هذا الذي كانت تدافع عنه طوال السنوات الماضية، نظرت من خلف الزجاج مرة أخرى إلى المرأة صاحبة الإشارة، أتراها سعيدة بوليدها؟ يبدو ذلك جليًّا من الطريقة التي كانت تنظر بها إليه، ومن حرصها الشديد على أن يكون مستظلاً بقطعة الكرتون طوال الوقت. تُرى ما هو السر الكامن فيها الذي أصبحت به هكذا، هل تعرف شيئًا لم أتمكن أنا من معرفته على الرغم من السنوات الطوال التي قضيتها في مقاعد التعليم والكتب التي قرأتها خلال دراستي الطويلة؟! لقد قرأت لرفاعة، وهدى، وزكي، وقاسم، وأمينة، وغيرهم وقرأت عنهم أيضًا، و... فجأة تحركت في داخلها رغبة جارفة بأن تصبح أمًّا، ردعت ذلك الصوت الذي أتى من داخلها بقوة "لست أنا". قالتها، فسمعت صداها يتردد، سمعت وكأن صوتًا داخليًّا قويًّا آخر يقول: لمَ لا؟ ثم دوى صوت مزعج من خلفها أرجعها إلى الحاضر.. كان صوت سيارة إسعاف تستعجل السيارات التي أمامها لإفساح الطريق. تنبهت فتحسست الورقة التي في حقيبتها، ثم أخرجت جوالها، أكثر من عشرة اتصالات لم يُرد عليها، كلها نفس الرقم اتصلت عليها، إنها مُنظمة اللقاء، أخبرتها أن الزمن يمر بسرعة، وهي قلقة جدًّا، طمأنتها بأنها قريبة، ما هي إلا دقائق، وصلت، ثم دخلت من الباب المعد للمتحدثين

خلق الرجال والنساء ليكمل كل واحد منهما الآخر، وإن المرأة مهما حاولت فلن تستطيع أن تكون مثل الرجل، وإن الرجل مهما حاول لن يستطيع أن يكون مثل المرأة، فإن لكل منهما دوره في هذه الحياة، وإن الدور الحقيقي للمرأة هو الأمومة، وهو الدور الأول وليس الأخير، فخير لنا أن نحصل على أمهات متعلمات متنورات من أن نحصل على أمهات جاهلات أو متعلمات غافلات عن الدور الحقيقي لهن، وليس المقصود من التعليم هو الخروج من المنزل والعمل في شتى المجالات ومزاحمة الرجال في كل عمل وفي كل مكان، إنما المقصود من التعلم هو التثقيف والمعرفة والقيام بالأعمال التي تحفظ للمرأة كرامتها، وأنوثتها، واحترامها، وتبعدها عما يجرح مشاعرها، وإن كان لا بد للمرأة من أن تعمل في أحد الأعمال المخصصة للرجال أو في المجالات التطوعية، فعليها أن تضع الجانب الأكبر من اهتمامها لأسرتها وبيتها وأبنائها وبناتها، فإنهم هم الأهم والأولى بالعناية، لقد أفنيت شطرًا كبيرًا من عمري وأنا أعيش الوهم الذي كنت أتغنى به، بأن أساوي نفسي بالرجل، وإنني أعلن لكم من هذا المنبر، في هذا اليوم، بأنني أتنازل عن كل كلمة قلتها من قبل في هذا المجال، وأعتبر كلماتي هذه هي اعتراف مني بأن ما كنت أقوم به هو خطأ صورته لي الظنون والأوهام، وأدعو كل سيدة أن تكون أمًّا صالحة معلمة لأبنائها، وأن تتجه إلى الأعمال التي

كنت أراقبه منذ أن وقف..." وأصوات كثيرة، ثم شعر بيد قوية تنزعه من على الأرض حيث كان مستلقيًا على ظهره، ثم انهالت عليه اليد الأخرى بشيء ثقيل على خده الأيمن، أغمض معه عينيه، ثم عرف أنها اليد الأخرى للرجل الذي يمسك بتلابيبه، قال مدافعًا عن نفسه بكل صدق، وبراءة، وقوة: "والله لم أكن أنا". إذن لماذا كنت تجري؟ "لقد خفت منكم". واستمر الحوار بصرامة من ناحيتهم، وباستسلام وتلقائية من ناحيته، وأخيرًا جاء الشرطي، رُمي به في المقعد الخلفي لسيارة الشرطة، وسمع الصوت الذي لطالما كان يسمعه عندما كان يقف في شرفة بيتهم حينما كان له بيت، عادت به الذكريات إلى قبل أربع سنوات عندما اقترب من غرفة والديه، فتسلل إلى أذنيه كلام لم يكن من البد سماعه. تسمر في مكانه وأنصت بكل جوارحه، سمعها تقول: "نحن لا بد أن نفترق، لم أعد أحبك، لقد ذبل كل شيء في حياتي، لم تعد الشخص الذي كنت أحلم به". قالتها وهي تجمع أغراضها الشخصية، وأما أبوه فقد تسمر مكانه، ولم يسمع منه إلا كلمات قصيرة: "لا بد أن تتأني في اتخاذ القرار، نحن لم يمض علينا إلا ست سنوات، سوف يتغير كل شيء، فقط أمهليني فترة من الزمن". "ولكنك خدعتني لم تَفِ بما التزمت به، ومع هذا لا زلتَ تماطل، لقد كنت مضطرًا لأوافق على كل الشروط التي طلبتها حتى أفوز بك، ولكنك لم تكن صادقًا". قالتها وهي تضع آخر قطعة في حقيبتها وتحزمها بقوة، أما هو فلم يعرف

سوى المهنة التي بدأت بالصدفة، ثم كلعبة أعجبته بادئ الأمر، ثم أصبح مجبرًا عليها لاحقًا.

وجد نفسه يومًا مع الرفاق أمام محل كبير، دخل أحدهم والآخرون يقفون في الخارج ثم يدخلون واحدًا وراء الآخر وهو واقف يراقب، ثم خرجوا مسرعين لم يكن يعلم لماذا، فجرى خلفهم بكل ما أوتي من قوة، وهذا الذي أوقعه هنا، لماذا كانوا يجرون بتلك السرعة الهائلة؟! سمع الشرطي يقول له: "هيا انزل لقد وصلنا". مر وقت قصير، تخللته أسئلة كثيرة: "إيش اسمك؟ فين ساكن؟ من أبوك؟ كم عمرك؟..." وغيرها من الكم والكيف ولماذا، أجاب عن بعضها وأهمل البعض، نظر الضابط إلى الأوراق التي أمامه، ثم قال للجندي: "اتصل بالأحداث قل لهم عندنا واحد عمره عشر سنوات".

أتوقع، وافقت وركبت، وسألته عن حاله فقال: بخير الحمد للّه، بدأت معه الحوار ملفتًا نظره إلى ما شاهدته من نظافة السيارة وإلى رائحتها الطيبة التي لم أتعود أن أجدها في كثير من سيارات الأجرة التي استخدمتها في الأيام السابقة، وفي ذلك اليوم بالذات نظرًا لتعطل سيارتي، فأجاب بأنه ينظف سيارته كل يوم، وينظف نفسه مرتين يوميًّا. أثناء حديثه كنت أتطلع إليه بتعجب وانبهار، فلاحظت شيئًا مهمًّا، أنه هادئ في القيادة لدرجة تشعرك بأنك في سيارتك الخاصة وليس في سيارة أجرة، طوال الطريق معه لم يستخدم منبه السيارة على الرغم من زحمة الطريق وكثرة من ضايقوه أثناء سيره، كنت أتجاذب معه أطراف الحديث، وهذه عادتي دائمًا، أحب أن أتكلم مع سائقي سيارات الأجرة في أي مكان أسافر إليه؛ نظرًا لما أتعلمه منهم من خلال ما يقولونه من أحداث في حياتهم، فوجدت أنني أمام فيلسوف بسيط اللهجة عميق المعاني؛ مما وقع في قلبي منه أنني قلت له: "ما شاء اللّه تبارك اللّه! أنت هادئ، ولا تستخدم المنبه، وأيضًا متمسك بالنظام ولا تسرع، فكيف استطعت أن تكون كذلك في هذه المهنة التي يرى البعض أن من ضرورياتها العجلة والسرعة للحصول على طلبات أكثر ودخل أكبر؟". قال: "إن الرزق يأتي من عند اللّه، وعندما أصلي الفجر أبدأ العمل حتى الظهر، ثم أرتاح إلى ما بعد العصر بعد أن أكون أديت واجبي تجاه ربي، ثم أنظف نفسي وسيارتي، فأواصل عملي حتى المساء إلى العاشرة أو الحادية

الاتصال بي، أو بالأحرى نسي الموعد ولم يتذكر إلا بعد صلاة العشاء من يوم الجمعة فاتصل، وإنما جوالي كان خارج التغطية. على كل حال اتفقنا على أن يلبي الدعوة في فرصة أخرى لأقضي وقتًا ممتعًا معه، وأجعل أبنائي يتعلمون منه شيئًا جديدًا.

هذه الصورة نقلتها كما هي بدون أي تحسينات من عندي، ما عدا تعديل اللغة، لأننا كنا نتحدث بلغة عربية من طرفي، وبلغة عربية بها لكنة (لحن) من طرفه وحسب ما فتح الله عليه، وهي دعوة أوجهها لنفسي وللآخرين، بأن نفتح أذهاننا لمن نقابلهم، ونفتح قلوبنا في تعاملنا مع الآخرين، فربما نتعلم كلمة واحدة تترك انطباعًا جيدًا في قلوبنا، وتوجه حياتنا إلى طريق أفضل، فإن الحياة هي الجامعة المفتوحة التي علينا الأخذ منها دومًا!

❖ ممارس متقدم في تحليل الشخصية بواسطة خط اليد بالإنجليزي معتمد من جامعة تحليل خط اليد العالمية Handwriting University International بالولايات المتحدة الأمريكية من Bart Baggett.

❖ ممارس متقدم في العلاج بخط الزمن بإعتماد من الدكتور تاد جيمس Tad James.

❖ ممارس متقدم في التنويم الإيحائي بإعتماد من المدرب إلفيس ليستر Elvis Lister تامبا - فلوريدا - الولايات المتحدة الأمريكية، ومنظمة البرمجة اللغوية العصبية.

❖ بريد إلكتروني : ghran@hotmail.com